موطأ مالك

بقلم

الأستاذ أمين الخولى

لكل حضـــارة ثقافتها . . وهذه الحضارة التى يرتكز عليها تاريخ مئات الملايين ، فى أرجاء العالم لها ثقافتها الإسلامية .

وتنهض هذه الثقافة الإسلامية على أساسين : منقول . . ومعقول .

وفى حياة الثقافة الإسلامية المنقولة ، دينية ، أو دنيوية يبدو كتاب « الموطأ » من الطلائع فى الطريق الذى تعبره قوافل المعرفة البشرية ، ناقلة من منجمها فى المدينة ، مستقر الدعوة ، ومأمن الرســالة ، ومهاجر محمد ، ومثواه الأخير ما أرسله ، عليه السلام ، إلى العالم من توجيه لسلوكه ودفع لمدنيته ، إذ كان الدين فى هـــذه الحضارة الإسلامية ملاك أمرها ، ومدار نشاطها ، يلتقى مع الدنيا فى غير عزلة ، ولا انفصام ، فيتأثر به الشكل والموضوع أقوى الأثر وأعمقه ، وتمضى رواية الحديث — مثلا — منهجا لرواية التاريخ والأدب ، والتراث كله ، كما يكون من ذلك الحديث ما هو مادة التشريع بأنواعه ، وأساس الخلق والسلوك الفردى والجماعى .. ويتجلى بمثل هذا الاتصال الوثيق ، والتداخل المحكم كيف يكون الحديث ، عن مثل كتاب « الموطأ » وجامعه « مالك » حديثاً هاماً وأصيلا فى حياة الفكر الإسلامى ، بقدر ما تشارك حياة ذلك الفكر فى النشاط الإنسانى العام .

المؤلف : مالك بن أنس

من حوالى ٩٠ هـ — ٧٠٨ م — إلى ١٧٩ هـ — ٧٩٥م

من أسرة يمنية تحولت إلى الحجاز فى عهد جد مالك ، وفى شمالى المدينـــة أولى عواصم الدولة الإسلامية ، بمكان ذى مياه ونخيل ، خلال العشرة الأخيرة من القرن الأول الهجرى — على اختلاف فى تحديد السنة — ولد فى تلك الأسرة المتوسطة الحال وليد أشقر ، أعين ، عظيم الرأس ، هو مالك بن أنس

وفى رعاية أم جادة ، وأب يتعاطى العمل اليدوى ، مع ضعف ، يدل عليه ، أنه كان مقعداً ، بين أخوة له آخرين ، أكبر منه وأصغر ، نشأ الطفل مالك نشأة أمثاله ، من الأوساط ، وإن كان يسمع من حديث الأسرة أنها تنتمى إلى ذى أصبح من أقيال اليمن ، فهو مالك الأصبحى .

ويتعلم الطفل علم عصره وهو العلم الدينى ، الذى يمكن كذلك من مصالح الدنيـــا ، وظائف

ومراكز . وفى المدينة من ذلك العلم كثير ، وهى جديرة بأن تنتجع لاستكماله ، والمسجد النبوى فى المدينة مدرسة بل جامعة ، كما كان دار الحكومة ، ومقر رياستها على عهد الرسول عليه السلام ، وفيه وحوله مكاتب للمرحلة الأولى ، وبين هذا وذاك تلقى مالك من وجوه ، فى العلم الدينى ، وأعلام فى سلاسل السند الحديثى حتى شهدوا له بالقدرة فجلس للتدريس ، وسنه حوالى العشرين أو أقل من ذلك وفى الجامعة التى تخرج فيها ، وفى جوار الرسول عليه السلام يمضى مالك عمره يحدث عنه ، ويعلم دينه ، ويفتى الناس فيما يحدث لهم من شئون .. لا يبرح المدينة عالماً ولا متعلما إلا حاجاً إلى مكة .. ويقول إذا جدت مناسبات الارتحال عنها : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . . وهو يجعل لها المكانة الفكرية فيحدث عن إجماعها ، ويؤثر خبر الواحد منها ، على ما يبين فى مكانه من الدراسة ، لأن لهم فضل صحبة ومعاينة ، للرسول عليه السلام ولأصحابه من بعده ، وقد رأوا من ذلك ما لعله لا يتيسر لغيرهم من أهل البلاد الأخرى .

ومالك يقدر التبعة الاجتماعية فيما يمارس من أمر هذا العلم الدينى تعليماً وإفتاء ، ويقول فى ذلك كلمته المعروفة : « بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء » .

وهذه التبعة هى التى جعلت عالم الدين ، فى هذا المجتمع الذى يظلله حكم فردى ، هو الذى يمثل سلطة الشعب ، ويدفع عن مصالحه أمام السلطة الحاكمة ، وهو موقف يجعل علماء الدين ، حين يؤدون واجبهم الاجتماعى ، أداء المقدر له ، عرضة لغضب السياسة وسخطها ، ومن أجل ذلك نسمع أخبار إيذائهم ، بأنواع الإيذاء المختلفة من ضرب وحبس وسوء معاملة ، وهو ما أصاب مالكاً طرف منه فى عهد الدولة العباسية ، وإن وجهت إليه الترضية عنه من الخليفة بعد ذلك :

ومرويات مالك ، وتعليمه إياها ، وفتاواه فى الواقعات ، كل ذلك وما إليه يؤلف مذهباً ، أومدرسة فقهية لها فى التفكير والتطبيق منهجها ، الذى يلائم عصرها ، وتوجه إليه بيئتها الطبيعية والمعنوية ، ولهذا المذهب فى تاريخ الفقه الإسلامى ، ثم تاريخ الفقه الإنسانى مكانه ، فقد اتصلت به مدارس الفقه الإسلامى الأخرى المشهورة وغير المشهورة ، فالشافعى قد تتلمذ لمالك ، ومحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة له رواية خاصة لموطأ مالك ، وقد تهيأت الأسباب الاجتماعية والسياسية لانتشار المذهب المالكى فى أقصى المشرق كما انتشر فى مصر وسواها ، وبقى إلى هذا العهد أحد المذاهب الأربعة الكبرى المعروفة .

* * *

وكان مالك الإنسان أنيقاً رقيق المزاج ، حتى لا ينكر ذلك من أمره من ينكر أن له عملا بعينه فى الغناء . وأنه بدأ يتعلمه ، ثم انصرف عنه إلى الفقه.. والمدينة ذات حظ موفور من النشاط الفنى ، ولا سيما الغناء .

وقد عمر مالك بضعا وثمانين سنة خلف فيها تلامذة وأصحاباً ، وألف كتباً ، أشهرها كتاب مذهبه وهو « الموطأ » وله سواه من الكتب ما نعنى به العناية الخاصة هنا ، بعد الحديث المفرد عن :

كتاب الموطأ

الموطأ :

فى اللغة : من وطّأه — بالتشديد — أى هيأه وسهله ، ومهده وذلله ، ويقال : رجل موطأ الأكناف ، أى سهل ، كريم ، مضياف ، لا ينبو بصاحبه موضعه عنده ؛ ورجل موطأ العقب أى

يتبع ويمشى الناس وراءه لأنه ذو سلطان .. الخ .
وكل هذه المعانى مما يمكن أن يفهم به تسمية هذا الكتاب .

وهى تسمية يبدو أنها كانت صدى لواقع فى الحياة العلمية والاجتماعية ، جعل بها حاجة إلى لون خاص من التأليف ، بطريقة معينة . وهو ما يتبين لنا إذا نظرنا نظرة خاطفة فى تاريخ تدوين العلم الدينى كيف بدأ ، وكيف اتجه ؟ .

والناظر فى تاريخ هذا التدوين الدينى ، ومدى مطاوعة الحياة الاعتقادية والعملية فيه يرى : أن البيئة العربية ببداوتها تعوق الكتابة ، وتنمى الحفظ ، لكن الدعوة الإسلامية كانت معجزتها كتاباً يحتاج إلى ضبطه فيكتب ، ويتسع القول والفعل ، فى تطبيقه وفهمه ، فيحفظ ذلك حيناً ما ؛ ثم تستقر الحياة ويقوى التمدين ، فيسهل ذلك كله الكتابة ، بل يغرى بها ؛ ثم تقوى الحاجة إليها ، فيكون تدوين السنة على ما يروى من تاريخه ، ويمر ذلك التدوين بمراحل ، سنجمل الاشارة إليها ، فتكون من ذلك كتب فى العلم الدينى ، رسائل ومجموعات ويكون :

الموطأ :

فى الكتب مجموعة من الحديث النبوى ، وأقوال الصحابة ، وفتاوى التابعين ومن بعدهم تمس شئون الحياة ونظمها ، حتى منتصف القرن الثانى الهجرى — أواسط القرن الثامن الميلادى — .

وقد كان تدوين هذه المجموعة وأمثالها خطوة سبقتها خطوات ، من التحرج والإقلال من التدوين فتدوين اليسير من الموضوع الواحد ، حتى أحوجت الحياة إلى تدوين المجموعات ، فظهرت تلك المجموعات فى المدن الإسلامية الكبرى بمختلف أقطار الدولة الإسلامية فعرف مدونون لمجموعات من هذا الصنف ، فى مكة وفى الشام ، وفى الكوفة والبصرة ، وواسط بالعراق ؛ وفى اليمن ، وفى خراسان ، والرى من المناطق الشرقية وعد علماء مدونون ، معاصرون لمالك بالمدينة ، كلهم من أهل ذلك القرن الثانى الهجرى ، تتراوح وفياتهم بين منتصف ذلك القرن الثانى الهجرى وأواسطه وأواخره

ويبدو أن تسميته « الموطأ » كانت — كما أشرنا — تعبيراً عن الحاجة العلمية والعملية إلى مؤلفات ميسرة سهلة يجد فيها الناس حاجتهم من الأحكام القانونية العامة والخاصة ، التى يطمئنون إلى مطابقتها للتوجيه الدينى الذى يقدم القرآن خطوطه الكبرى ، ويتولى الرسول عليه السلام بيانه ، ويحتفظ أصحابه منه بما رأوا وسمعوا ، وتلقوا .

ولهذا سميت مجموعات متعددة باسم « الموطأ » ونازعت مالكاً رحمه الله ، أولية هذا الصنف من التدوين ، كما شاركته فى الاسم أيضاً ، فقيل مثلا : إن أبا الوليد ، عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج فقيه مكة المتوفى سنة ١٥٠ هـ هو صاحب أول كتاب صنف فى الإسلام ، كما كان لإبراهيم بن أبى يحيى معاصر مالك ومنافسه المتوفى سنة ١٨٤ هـ موطأ أضعاف موطأ مالك لكن موطأ مالك من بينها هو الذى كتب له البقاء ، وصار أساساً لبناء مدرسة فقهية ، عاشت حتى اليوم وذلك لأسباب دينية ، وعلمية ، واجتماعية يمكن تتبعها فى غير هذه المناسبة .

متى ألف الموطأ ؟.. ولم ؟ ..

تتدافع الروايات المخبرة عن طلب الخلفاء العباسيين من مالك أن يضع لهم كتاباً يكون مرجعاً للأحكام ، وفى خلال هذه الروايات يمكن أن تعرف أخبار هذا الموطأ وزمن ظهوره : وتتعدد تلك الروايات متنا وسنداً وبالموازنة بينها [1] يمكن الاطمئنان إلى أن « الموطأ »

(١) ارجع إلى ذلك فى كتاب مالك بن أنس : ترجمة محررة ج ٣ ص ٥٢٠ — ٥٢٨ ط أولى

قد بدأ تصنيفه فى عهد الخليفة المنصور العباسى ، وأنه كان تاماً فى عهد الخليفة المهدى المتوفى سنة ١٦٩ هـ وليس من الدقة التقحم على ذلك بتعيين سنة محددة ، فقد عد الخليفة المهدى نفسه ، من رواة الموطأ عن مالك ، وقد حكم المهدى نحو عشر سنوات يمكن أن تحدد فيها فترة ظهور الموطأ .

وأما لماذا ألف الموطأ فقد تجد مع الحاجة العامة للناس ، إلى مثل هذا المرجع القانونى الدينى ، حاجة حكومية خاصة ، يشير إليها ما يوجد فى هذا العصر من شكوى اختلاف الأحكام المتناقضة ، على مايصفه ابن المقفع فى إحدى رسائله ؛ وقد تكون مع ذلك اعتبارات سياسية عليا من الحرص على إظهار مذاهب فقهية غير مذاهب الشيعة الخارجين على العباسيين ؛ ومن هذا وما إليه سمعت رغبة الخلفاء العباسيين إلى الإمام مالك فى أن يضع كتاباً صفته كذا وكيت وأنهم بحيث ينسخون منه نسخا يبعثون بها إلى أمصار المسلمين ، أو يعلقونها .. الخ .

ومهما تكن نتيجة الدرس الناقد لهذه الروايات فى وضع تصميم الكتاب وخطته ، أو فى تحديد طريقة تعميمه والإلزام به ، ومخالفة الإمام مالك فى ذلك ، مهما تكن النتائج الصحيحة من ذلك كله فإن قدراً منها يمكن القول به فى صلة تأليف الموطأ بالحياة السياسية فى عصره ، والحياة الاجتماعية لعهده . وأنه كان وفاء بتلك الحاجة القانونية فكتب له ذلك حظا من البقاء والذيوع ، الذى يجعل له فى الحياة الثقافية والعملية الإسلامية مكانه ..

محتويات الموطأ :

لو أجملنا القول فى ذلك لقلنا : إن الموطأ يحتوى ما انتهى إلى مالك مما كان يسمى لعهده « العلم » ويرد فى عباراته وعبارات معاصريه بلفظ العلم ، وهو علم نقلى مروى طريقه تلقى الخالف عن السالف . ويبدو أن هذا العلم الدينى النقلى كان فى ذلك العهد جملة متصلة الأجزاء متداخلة الأقسام لم تتميز فروعها بالأسماء التى عرفت بعد ذلك ، من علم الحديث ، وعلم التفسير ، وعلم الفقه ، والكلام ، والتصوف .. وكذلك احتوى « الموطأ » من ذلك ما لو نظرت إليه على ضوء التقسيم الأخير لكان فنونا مختلفة ، قد يكون الطابع الفقهى أبرزها ، والمحتكم فى جمعها ، وفى ترتيبها كذلك .

وقد صنف الموطأ أبوابا هى أبواب الفقه الأخيرة ، أو أقرب ما تكون إليها بعناوينها ، وبترتيبها كثيرا ، أو مع شىء من المخالفة ، ففيه الأبواب التى ترى أخيرا فى كتب الفقه تحت عنوان « العبادات » مع شئ من مغايرة الترتيب ، إذ بدأ الموطأ بكتاب « وقوت الصلاة » ، على حين تبدأ كتب الفقه بعد ذلك بكتاب الطهارة .

وفى الموطأ بعد ذلك أبواب الفقه الأخرى غالباً ، من المعاملات ، والحدود ، والفرائض — المواريث — والأقضية وما إلى ذلك ، وإن اختلف ترتيب هذه الأبواب عما استقر بعد فى كتب الفقه ، التى جعلت تلتمس النكت والمناسبات لترتيب تلك الأبواب ، كما تختلف تلك الأبواب توزيعاً فى الموطأ عما فى كتب الفقه التالية أيضاً ، فتجمع ما يكون قد فرقه مالك فى أكثر من باب ، أو تتوسع فى بعض الأبواب .

ويلى تلك الأبواب أو الكتب ، كتاب عنوانه « كتاب الجامع » يستهلك نحو ١١٪ من صفحات الموطأ : وفيه فنون من الأعمال والمعارف المختلفة ، من اجتماعية عملية ، إلى خلقية سلوكية ، بينها كلامية اعتقادية ، مما يتحقق به ما أشرت إليه من أن العلم فى ذلك العصر كان يؤلف تلك المجموعة المتداخلة التى لما تتميز حدود أقسامها .

وهناك علوم إسلامية قد ظهرت بعد ذلك بفعل الزمن ، واتصال الثقافة الإسلامية بثقافات الأمم السالفة ،

فكانت تلك العلوم مظهر نمو وتقدم نحو مستوى عقلى خاص ؛ كعلم أصول الفقه . فإنك لا تجد فى الموطأ الصورة الواضحة لهذا العلم مثلا .. لكنك تجد ملامح مقررات له قد أخذت صورة القواعد بعد ذلك، فقاعدتهم أن الضرورات تبيح المحظورات ، تجدها فى الموطأ بقول مالك : وإذا كانت الضرورة فإن دين الله يسر — الموطأ بشرح السيوطى المسمى تنوير الحوالك حـ ٢ ص ١١٢ — ، كما ترى قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» . أكثر من مرة يلفظها — المرجع السابق ٢ : ٢١٨ و ٣ : ٢٨ .

وما يتقرر بعد بتفصيل من سد الذرائع نرى نواته فى مثل قول مالك : لأنه ذريعة إلى الربا ، وتخوف أن يدار ذلك على هذا الوجه — المرجع نفسه ٢ : ١٦٤ — وهكذا يقف الموطأ فى تاريخ العلم الدينى موقفاً تمثل فيه أتم التمثيل صورة العلم الدينى بالحجاز ، فى تلك الفترة التى ظهر فيها من عقود القرن الثانى الهجرى .

مادة الموطأ :

وفى هذا تجد أن الحديث بمعناه الخاص، من قول، أو فعل ، أو تقرير ، هو العنصر المتميز فى مادة الكتاب ، والطابع الظاهر ، الذى يسلك الموطأ من أجله ، فى كتب السنة ، والمجموعات الحديثية ؛ والحديث هو الذى يصدر به الباب المعنون بتلك العناوين ، التى ظلت تحملها كتب الفقه ؛ لكن مع الحديث ، أو السنة ، أو الأثر — على اختلاف الاصطلاح فى ذلك — مواد أخرى من فتاوى الصحابة ، وعملهم ، وقولهم، ومن فتاوى التابعين وعملهم كذلك ، وإلى جانب ذلك —وبعده غالباً— فتاوى مالك فيما سئل عنه، وقوله فيما يفهم من الحديث ، وما يعلق به على المنقول، من القول أو الفعل ؛ وأحب ما يكون من ذلك إليه ؛ وأعجبه عنده ؛ وأحسنه لديه ، من أشباه هذه العبارات ونختار لبيان ذلك بابا هو ما انفتح عنه الكتاب ، دون مرجح ، فإذا هو : —

«ما جاء فى المسح بالرأس والأذنين» :

فنجد مادته كما يلى : —

حديث مالك عن نافع : أن عبد الله بن عمر كان يأخذ الماء بإصبعيه لأذنيه ، فالذى بلغ مالكاً : أن جابر بن عبد الله الأنصارى ، سئل عن المسح على العمامة ، فقال : لا ، حتى يمسح الشعر بالماء ؛ ثم حديث مالك عن هشام بن عروة : أن أبا عروة بن الزبير كان ينزع العمامة ، ويمسح رأسه بالماء؛ فحديث مالك عن نافع : أنه رأى أن صفية بنت أبى عبيد ، امرأة عبد الله بن عمر تنزع خمارها ، وتمسح على رأسها بالماء ؛ ونافع يومئذ صغير .. ثم يلى ذلك : أن مالكاً سئل عن المسح على العمامة والخمار ، فقال : لا ينبغى أن يمسح الرجل والمرأة ، على عمامة ولا خمار ، وليمسحا على رءوسهما .. وسئل مالك عن رجل توضأ فنسى أن يمسح على رأسه حتى جف وضوؤه ، قال: أرى أن يمسح برأسه ، وإن كان قد صلى أن يعيد الصلاة . وينتهى بهذا باب . ما جاء فى المسح بالرأس .. الخ ؛ وهو بهذا الوضع مطابق للخطة التى روى : أن مالكاً رسمها حينما أتى بما ألفه معاصره ، عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون الفقيه المدنى — المتوفى سنة ١٦٦ هـ — وقد عنى الماجشون فى تأليفه بما اجتمع عليه أهل المدينة ، وذكره بغير حديث ، فقال مالك : ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا الذى عملت ابتدأت بالآثار ، ثم شددت ذلك بالكلام ؛ وكذلك رأيناه فعل فيما عرضنا من المثل السابق ، وكانت عنايته بالآثار — كما أشرنا — سبب احتساب الموطأ فى أصول السنة ، حتى الآن ، مع منزلته الفقهية ، وصفته الواضحة فى ذلك .

وفيما ألم به الموطأ من شئون الحياة فى عصره ، وقبل ذلك العصر ، فى حياة الرسول عليه السلام وحياة الصحابة ، بل فيما عرض له من أحداث الحياة فى الجاهلية . وما أحدث فيها الإسلام من تغيير وإصلاح .. فى كل ذلك ما يجعل للموطأ مكاناً واضحاً وأثراً بارزاً فى فروع من الثقافة الإسلامية . غير الفروع الدينية البحتة ، وهو ما نقف هنا وقفة خاصة لبيان مكان الموطأ فى تلك الفروع مع ما عرفنا له من مكانته فى الإسلاميات بخاص معناها ، من شريعة ، وخلق ، وعقيدة ، فنتحدث عن :

الموطأ .. فى اللغة والأدب :

ويختلف الرأى فى الاحتجاج على اللغة بالحديث ، فقوم يجيزون ذلك ، وآخرون يمنعون ، وقوم يتوسطون ، فيجيزون شيئاً ويمنعون شيئاً ، لكن إذا ذكر « الموطأ » بالذات حق على من يمنع الاحتجاج للغة بالحديث أن يقدر فى « الموطأ » أشياء :

منها : أنه نص ظهر فى حدود العصر ، الذى يحد به زمن الاحتجاج ، وهو منتصف القرن الثانى الهجرى .

ومنها : أنه فى ميدان الحديث طليعة مبكرة . تهيأ لها مع تقدم الزمن ، بيئة خاصة حجازية ، قد تكون اللغة فيها ذات تأثر بالبيئة ، التى فيها بقية من السلف المقدر لما يقول ويعلم ، وجهاً من التقدير ، على رغم تغير الحال .

ومنها : أنه نص قد نقل نقلا متحرياً ، إلى حد كبير ، وعلى قدر ما احتملت دقة المنهج النقلى لعهده وقد يدعو ذلك إلى شئ من الحرص ، فى التعبير ، حتى حينما تكون الرواية بالمعنى .

ولكل أولئك وغيره ، من أمر هذا « الموطأ » يتريث من ينكر الاحتجاج بالحديث ، فى تعميم هذا الإنكار على الموطأ أيضاً ؛ ثم يجئ مع ذلك ما لمالك صاحب الموطأ من شأن ، فقد تختلف الرواية عن مدى فصاحته هو نفسه ، فينقل أنه كان يلحن ، وأن الأصمعى لذلك قال : ما هبت عالماً قط ما هبت مالكاً ، حتى لحن فذهبت هيبته من قلبى ، لكن الأصمعى عينه يثبت لمالك عليه مشيخة لغوية حين يقول : أخبرنى مالك أن الاستجمار هو الاستطابة ، ولم أسمعه من غير مالك .. وصاحب الموطأ ينبغى ، مع كل اعتبار أن تقدر فى مدى فصاحته أشياء :

منها : أنه من أهل هذا العصر المتقدم الذى عرف لرجال العلم الدينى فيه شأن لغوى وأدبى ، فالشافعى هو من هو فى الميدان اللغوى ، وهو تلميذ مالك ، والأوزاعى له شأن فى الحياة الأدبية ، وهو معاصر مالك ، ونظيره فى الشام ؛ فروح العصر العامة التى اعتبرته عصر احتجاج لغوى بوجه ما ، والروح الخاصة التى جعلت لرجال الحديث هذه المشاركة ، مما ينبغى تقديره عند الحديث عن الموطأ واللغة ؛ ثم يؤازر ذلك ما يروى — ولو كان من المناقب — أن مالكاً أول من تكلم فى غريب الحديث ، لأن هذا الكلام عناية لغوية فى نشاط أصحاب الحديث .. ومالك فوق كل ذلك مجتهد لابد له من العلم باللغة علماً يهيئ له استثمار الأحكام من النصوص — كما يقولون — .

ولكل ذلك من أمر الموطأ ومؤلفه نقدر ما للموطأ من أثر فى الثقافة اللغوية ، وأن نصوصه فى هذا الميدان تثبت وتنفى ، أو ترجح وتؤيد ، على أقل تقدير ،

وأنه ينبغى أن ينظر فيه من هذه الناحية ، نظراً أكثر اهتماماً ، من النظر إلى ما تأخر عنه من مجموعات الحديث ، أو كتب الفقه ، فسيرى الناظر فيه من اللغويات أشياء مثل :

إشباع تاء المخاطبة حتى تنشأ من ذلك الإشباع ياء واضحة ، على نحو ما نقول الآن فى لغة الحياة ؛ ويتكرر ذلك فى مواضع من الموطأ منها .

حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فيما لا يجوز من النُّحْل — أى الإعطاء بلا عوض — وأن أبا بكر الصديق كان نحلها جادّ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة كان مما قال لها بشأن هذا النحل «فلو كنت جدَدْتيه واخترْتيه كان لك» فتشبع التاء على ما ترى من الفعلين حتى يكون بعدها ياء، وترسم هكذا واضحة فى نسخ الكتاب — الموطأ مع شرح السيوطى المسمى تنوير الحوالك حـ ٢ : ص٢٢٣ ط صبيح — .

ومن ذلك أيضاً حديث مالك فى باب ما جاء فى أكل الضب من المرجع السابق حـ ٣ ص ١٧٣ — من كلام الرسول عليه السلام فى بيت ميمونة بنت الحارث، وقوله لها من حوار طويل ما عبارته : «أرأيتك جاريتك التى كنت استأمرتينى فى عتقها أعطيها أختك وصلى بها رحمك» بإثبات تلك الياء التى أشرنا إليها. فهذه النصوص الحديثية — ولا سيما فى الموطأ على ما تبين — تسند حكاية يونس عن أن إثبات هذه الياء لغة، وتهز إنكار الأصمعى لهذه اللغة، وتؤيد جعل هذه الياء فى كلامنا اليوم من صحيح العامية، على ما ذكره ابن الحنبلى فى كتابه بحر العوام فيما أصاب فيه العوام — ط بغداد ص٦٣ — واحتج له بحديث آخر، وهذان الحديثان يزيدان الحجة تأييداً.

وهكذا يجد الدارس اللغوى فى الموطأ مثل تعبير : «لاهاء الله إذن» ومعناه، واختلافات أهل العربية بشأنه، ووصفهم عمل رواة الحديث فيه، وتفسير معانيه، وبيان أوجه إعرابه، ووقوف من وقف من اللغويين إلى جانب رواة الحديث — الموطأ بشرح السيوطى حـ ٢ ص ١١ وما بعدها — وهو ما لا نجد المكان للخوض فى شئ منه، وإنما نسوقه مثلا لما للموطأ، بما هو نص له زمان، ومكان، وظروف خاصة تجعله فى البحث اللغوى شيئاً متميزاً عما بعده من مراجع حديثية متأخرة عن عصر الاحتجاج.

* * *

وإذا ماجاوزنا اللغة بمتنها ونحوها، ومايتصل بذلك إلى الأدب وأساليبه، وثروته من النصوص الفصيحة وقفنا عند الموطأ وقفة كتلك الوقفة فى المجال اللغوى، إذ نشعر أن الموطأ بجامعه، وعصره، وبيئته، وعمله فى الفهم والتخريج يكون بكل أولئك مادة لصاحب الدرس الأدبى يجد فيها من النصوص الأدبية مايجد من خطب، وكتب، وعبارات حوار، وصيغ تقرير، يظفر فيها من الطابع العربى الخالص بما يحفظه ويأنس به كما يجد فى ثنايا هذه النصوص من أعلام الأشخاص والأماكن، والوقائع مايتكامل مع سائر مراجع الأدب فى ذلك؛ ومن الخير لدارس الأدب فى هذا العصر أن يعرج على هذا الموطأ بما هو نص نثرى منقول نقلا دقيقاً، يمثل ضرباً من الأسلوب الأدبى تلتمس فيه خصائص الأساليب فى ذلك الوقت المبكر، وتقرر به الصلة التى هدى إليها البحث فيما بين أصحاب هذا العلم الدينى وأصحاب القلم والنثر الأدبى الخاص فى هذا العهد، على ماسبق أن بينته فى دراسة عن الأوزاعى منذ سنين.. ولا مجال هنا لأكثر من هذه الاشارة اللافتة التى يتولى إتمامها صاحب الدرس الأدبى مستفيداً من الرجوع إلى هذا الموطأ فائدة ليست بقليلة ...

الموطأ فى التاريخ والسيرة :

إذا ما نظرنا إلى التاريخ فى أول صورته حين بدأ عند القوم نوعاً من الحديث، وسدادا لما أعوزت إليه الحاجة الماسة، من معرفة سيرة الرسول عليه السلام وتتبع أحواله استقصاء للسنة بما هى مصدر التشريع ومأخذ للأحكام، ففى هذه الحال يكون الموطأ وثيق الصلة بالتاريخ وبالسيرة، لأنه ليس إلا مجموعة

مبكرة لحديث الرسول ، وأقوال الصحابة ... الخ ومن هنا تجد فيه فصولا من السيرة ، مثل ماجاء فى سائر أبواب الكتاب ، من قول للرسول وفعل ليس إلا شيئاً من تاريخه وسيرته ، يرجـع إليه من يريد استيفاء تلك السيرة .

ولكن مكان الموطأ فى التاريخ والسيرة لايتحدد بهذا المفهوم الأول للتاريخ ، والقصد الأول من السيرة ، بل حين تتطور النظرة إلى التاريخ والسيرة حتى تبلغ المستوى الحالى الآن من العمق والدقة واتخاذ المنهج المحرر المحقق الملائم لمستوى المعرفة اليوم ، فيظل للموطأ مكانه بين المصادر التى يرجع إليها المؤرخ الدارس بمعنى الكلمة عندنا . بل نحتاج إلى أن نلفت ذلك الدارس الحق إلى قيمة هذا المرجع الهام فيما يقصد إليه من درس الحياة العربية قبل الإسلام فى كيانها الداخلى ، ونظامها الاجتماعى ، الذى يعنى به المؤرخ الجدير بهذا الاسم ، وتعوزه المصادر فيه ، كما يفيده ذلك الموطأ فى فهم الصلات الخارجية لهؤلاء العرب بمن حولهم من الأمم ، وهى صلات نادرة المصادر .. فإذا كان الإسلام وصدره الأول ففى الموطأ بأسبقيته وأقدميته مجموعة قيمة فى وصف تلك الحياة فى ميادينها المختلفة من دينية وعلمية وعملية وسياسية واقتصادية ، وغيرها فأما السيرة فتلك المجموعة من أقوال الرسول وأفعاله مصدر مباشر تفصيلى لهذه السيرة ، يمتاز عما سواه من مصادرها الأخرى .

وتلك الصلة للموطأ بالتاريخ والسيرة فى تلك الأنحاء المختلفة ، قد تحتاج إلى البيان بالتمثيل على الأقل . وهو مالا أجد له المجال هنا فأكتفى بالإشارة المجملة ، إلى مواضع مما يجد فيه المؤرخ طلبته فى هذه المجموعة الحديثية أكثر مما يمكن أن يجدها فى غيرها من المجموعات لتقدم هذه المجموعة زمنا على غيرها . ولمكان صاحبها فى المدينة قلب الإسلام النابض ، وأولى عواصم حكوماته ، وإن كانت المجموعات الحديثية الأخرى ، على تراخى الزمن ستظل مراجع تاريخية ، ينبغى أن يلتفت إليها الدارسون المحققون المستوثقون ، إلا أن هذا الموطأ ذو صفة خاصة فيها .. ومن هذه المثل الجملة التى هى كل مايحتمله المقام :

حديث مالك فى « جامع ماجاء فى الرضاعة عن الموطأ بشرح السيوطى فى ج ٢ ص١١٧ أن « رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم .. قال مالك : والغيلة أن يمس الرجل امرأته وهى ترضع » ومن أهل اللغة من يفسر الغيلة بإرضاع المرأة وهى حامل .

فهذا الحديث مع النظر فيما يشير إليه من نظام الإرضاع إنما هو نص صريح فى صلة العرب بمن حولهم وتقديرهم لفعل هذه الأمم فى الشئون الخاصة والنظر إلى تجاربهم فيها ؛ وهو مالا يحتاج معه المؤرخ إلى أن يفعل فعل كاتب عراقى فى أحدث ما كتب عن السيرة[1] إذ يقرر أنه لا بد أن يكون لأهل مكة علم بما كان يقع خارج جزيرة العرب ويستنتج ذلك من أنهم تجار كانوا يسيرون قوافلهم إلى تلك الأنحاء للاتجار مع أن مثل هذا الحديث نص كما ترى فى الصلة الخاصة الدقيقة ، ولاحاجة مع مثله إلى الاستنتاج المحتمل ..

وكم سيجد المؤرخ فى الموطأ من وصف عادات القوم وتفاصيل حياتهم فى الشئون الخاصة التى يشرع الإسلام فيها ، بغير من سلوك القوم قبله .

فإذا كان الإسلام فأنت واجد فى الموطأ من خاص الشئون الحيوية ما يتلهف المؤرخ على الحديث عن مثله حين يجاوز الشاطئ السياسى القريب إلى صميم الحياة العملية اقتصادية وغيرها ، وعلى سبيل

---

(١) هو الدكتور جواد على فى الجزء الأول من كتاب تاريخ العرب فى الإسلام – السيرة – ص ٧١ طبعة بغداد سنة ١٩٦١ .

المثال كذلك تجد فى الموطأ — بشرح السيوطى حـ٢ ص ١٤٠ وما بعدها — ما بلغ مالكاً أن صكوكاً خرجت للناس فى زمان مروان بن الحكم من طعام الجار ، فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها : فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، على مروان بن الحكم ، فقالا : أتحل بيع الربا يا مروان ! ؟ فقال أعوذ بالله: وما ذلك ؟ فقالا : هذه الصكوك تبايعها الناس ثم باعوها قبل أن يستوفوها . . الخ ، وكم تجد إلى جانب هذه الصكوك من حديث مدنى حضارى ، كالبز المصنف [1] ، والثياب برقومها [2] وبيع الأعدال على البرنامج [3] . مما لا فرصة لشرحه هنا ، وهو من أندر ما يظفر به فى كتب التاريخ العادية التى استهلك نشاطها القول عن السياسة والحكام .

* * *

وإذا ما كانت السيرة النبوية مجال التأليف ، وكان محمد بن إسحق صاحب أوسع جمع فيها وهو الذى لخصه ابن هشام ، واشتهر تلخيصه فى الميدان فإنا لنذكر ما كان بين مالك بن أنس صاحب الموطأ وبين ابن إسحق هذا من خصومة هاجم فيها مالك ، ابن إسحق ، وسماه دجالا ، كما هو مبين فى موضعه من تاريخ الرجلين ، فإنا لهذا سنجد أن الموطأ حين يعرض لشئ من السيرة على ما أشرنا إليه قريباً — يقدم لنا مرويات فيها مجال لنقد سندها ونقد متنها ، إذ أن رجال الموطأ كانوا موضع الدرس المفرد ممن خدموا الموطأ بسنده ومتنه خدمات جادة واسعة وبذلك يكون مجال « الموطأ » بأقدميته ، فى السيرة هو المجال التحقيقى الذى يدفع عن السيرة بعض ما وجه إليها منذ القديم الأول فى شعرها وخبرها ، ولا فرصة للتخلص من هذا النقد لمحتويات مرويات السيرة إلا بالنقد الذى جال فيه المحدثون وصالوا ، وستشترك بذلك — على الزمن — المجموعات الحديثية الأخرى ، بما يرد فيها من السيرة ، وما تعرض له من قول للرسول عليه السلام ، وفعل ، وتقرير يتكون منها الحديث ، وعن طريقها توصف حياة الرسول وتكتب سيرته كتابة صحيحة . وهكذا يأخذ «الموطأ» مكانه فى السيرة ، حينما تحقق ، كما أخذ مكانه فى التاريخ ، حينما يدق وتلتمس مصادره ، من جميع المظان التى تحمل آثاراً حيوية ، من العصر المؤرخ .. وبهذه المناسبة نعرض لشئ عن .

الموطأ . . والمنهج النقلى فى ثقافتنا :

إذ وصل المنهج النقلى فى الثقافة الإسلامية — مع الزمن — إلى مستوى من الدقة ، لا يكاد يضيف إليه التجديد الحديث زيادة تذكر

وقد كتب « الموطأ » فى أولى مراحل تكوين هذا المنهج ، إذ يبدو أن القوم لم يشعروا بالحاجة إلى شئ من الإسناد وسلسلته ، منذ احتاجوا إلى النقل ، بل لم يكونوا يسألون عن الإسناد — لعدة أسباب — حتى وقعت الفتنة ، فنظروا إلى من كان من أهل السنة فأخذوا حديثه ، ومن كان من أهل البدع فتركوا حديثه ، ثم تتابع تطور الإسناد حتى بلغ درجته التى أشرنا إليها من الدقة .

ويروى خبر يشعرنا بأن مالكاً عاصر هذه النشأة ، فى بواكيرها ، إذ يقول هذا الخبر : ما كنا نفهم أن أحدا يكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، متعمداً ، حتى جاءنا قوم من أهل المشرق فحدثوا عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين كانوا عندهم بأحاديث لم نعرفها ؛ فالتقيت أنا ومالك

---

(١) ، (٢) الموطأ جـ ٢ ص ١٦٥

(٣) الموطأ ٢ : ١٥٩ و ١٦١ — أى بيعها على صفة معلومة ، وبرنامج دون نشرها وعرضها ، فهو بيع غائب وغير منظور ، مما يشبه عمل « البورصة » اليوم .

ابن أنس فقلت : يا أبا عبد الله ، والله إنه لينبغى لنا أن نعرف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن هو ؟ وعمن أخذنا ؟ فقال : صدقت يا أبا سلمة ، فكنت لا أقبل حديثاً حتى يسند لى ، وتحفظ مالك ابن أنس الحديث من أيامئذ »

ولهذا الخبر بقية تشعر بأن هذا الطلب للسند كان يعتبر شيئاً محدثاً ، أو قل مبتدعاً ، إذ يقول راوى الخبر بعد ما سبق : فجئت عبد الله بن الحسن ، فقال لى : يا بن سلمة بن أسلم : ما بلغنى أنك تحدثت ، تقول : حدثنى فلان عن فلان ؟ ! قلت : بلى ، خلط علينا شيعتكم من أهل العراق ، وجاءونا بأحاديث عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته بعض ما حفظت فعجب ، وقال : أصبت يا بن أخى ، فزادنى فى ذلك رغبا — الخطيب البغدادى — الكفاية فى علم الرواية — ط الهند ص ٣٩٤

وما ننسى حين نورد هذا الخبر أن راويه عبد الله ابن سلمة بن أسلم هذا قد ضعفه قوم ، وقال من قال : « إنه متروك الحديث — الذهبى ميزان الاعتدال ٢ : ٤٢ — وهذا لا يجعل خبره كافيا فى تحديد ظهور السند على هذا الوجه ولا فى جعل « مالك » يبدأ عنايته بالإسناد على هذا الوجه أيضاً ، لكن معنى هذا الخبر فى جملته وهو الاتجاه إلى الإسناد بعد أن لم تكن لهم عناية به معنى تشهد به روايات أخرى ، تقرر هذا القدر من أمر الإسناد ، والعناية به بعد ظهور الفتنة وبهذا يمكن الاطمئنان إلى أن مالكا ، فيما بعد منتصف القرن الثانى الهجرى كانت تزداد عنايته بالسند تدريجيا تأثراً بالحركة العامة حوله فى هذه العناية . وبذلك يفهم قول أصحاب التراجم عنه : إنه أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة .

وبهذا القدر من وصف تطور الرواية يمكن أن نفسر ظاهرتين هامتين ، من عمل مالك فى رواية الموطأ وأولى هاتين الظاهرتين هى :

أن مالكا يسند مايرويه فى الموطأ حينا ، ويرسل مايرويه أحيانا ، حتى أن المسند من مرويات الموطأ لا يجاوز الثلث كما قيل ، وتعد هذه النسبة فى الإسناد نسبة عالية ليست لأحد من نظراء مالك ، وبهذا التفسير لحال الرواية فى عصر مالك لا يكون مرسل هذه الفترة — ولاسيما مرسل مالك — كمرسل غيرها ، حين يقوى التنبه إلى السند وطلبه ...

وثانية هاتين الظاهرتين هى :—

أن مالكا ظل فى نقد دائم وغربلة مستمرة كل يوم لما دوّنه من مروياته فى الموطأ حتى قالوا : إنه وضع هذا الموطأ على عشرة آلاف حديث ، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقى على هذا القدر الأخير ، وهو على أكثر عدّ ألف حديث وبضع مئات

وبهذا التفسير لتطور الرواية يفهم عمل مالك فى هذا الاستقصاء الدائب دون مساس بدقته .

الموطأ .. بين آثار مالك :

يقرر الأقدمون ، جيلا بعد جيل : أن مالكاً لم يشتهر عنه غير الموطأ ، فهو الذى واظب على إسماعه وروايته ، وحذفه منه ، وتلخيصه له ، شيئاً بعد شئ ، حتى آخر حياته .

وقد كانت العناية به منذ القرن الثانى إلى اليوم تناسب هذا الاشتهار ، فبدأ ذلك بروايته وتلقيه ، وتعددت لذلك نسخه ، حتى بلغت أربعة عشر أصلا ، فى الأقاليم المختلفة ، يمثل كل أصل رواية ناقل خاص عنه ، وكان من هؤلاء الناقلين من له شأن فى مدرسة فقهية أخرى كمحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة المعروف .. وروى الموطأ عن مالك رواة لم ينفردوا بنسخ خاصة ، وقد بلغ عدد هؤلاء كثرة كاثرة ، وفى ذلك كله دلالة على الاهتمام .

وتلا هذا التلقى النشط اجتهاد حافل بدراسات منوعة فى الموطأ ، استمرت إلى عصرنا ، من شروح

كثيرة ، إلى شروح لشئ منه كالشواهد ، إلى عناية خاصة برجاله وحالهم ، إلى تتبع لاختلاف الموطئات إلى كذا وكذا مما لو حاولنا سرد شئ منه لاستغرق صفحات ، وقد ضاع من ذلك ما ضاع ، وبقى منه كثير وصلنا — ولا بد لنا هنا من وصف شئ من هذا الذى وصلنا من هذه الدراسات المتنوعة التى تتكفل بها الفهارس العامة والخاصة .

وقد طبع من تلك الدراسات ما طبع فى المشرق والمغرب ، ولا يزال يطبع منه جديد وجديد .

ولو أشرنا إلى شئ مما لم يطبع دفعاً للهمم إلى الظفر به لذكرنا كتاب « الاستذكار فى شرح مذاهب علماء الأمصار ، مما رسم الإمام مالك فى موطئه من الرأى والآثار » للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى ، الذى قام وحده بدراسات مختلفة للموطأ ، لا نجد هنا الفرصة لسردها ، بله وصفها .

وكتابه الاستذكار هذا ضرب من الفقه المقارن ، يبرز فى تاريخ الفقه الإسلامى ، ومنه نسخة فى مصر يأسف المطلع عليها لذهاب نحو نصف الأوراق من مقدار ثلثى الجزء الأول منها : ولو اجتمعت منه — على البحث — نسخة صالحة لكانت خدمة للتاريخ والفقه ، تستحق التنويه .

* * *

وليس معنى هذا الذى أشرنا إليه من شهرة الموطأ أن ليس هناك حديث عن آثار أخرى فى التصنيف ، بل يذكر له من الآثار ما يحتاج وصفه ، وتقويمه إلى مجال من الصفحات يقرب من هذا الذى كتب كله . فمن هذه الآثار ما تنكر نسبته إليه كرسالة « الآداب والمواعظ » . ومنها ما لم تشتهر نسبته إليه ، وإن قيل إنه أكبر كتبه ، مثل كتاب « المناسك » ومنها ما عزاه إليه تلاميذ له ، ككتاب « المجالسات » الذى بقى حتى القرن العاشر الهجرى ، وكتاب « المسائل المنسوبة » لمالك ، ويقال إن منه نسخة فى غوطا ، وفى مجال النسبة إلى مالك ، يذكر كتاب « الاستيعاب » لأقوال مالك . . ومن المصنفات كذلك ما ينسب إليه ، ولكنه غير قريب من جو ثقافته مثل كتاب « النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر » ، وقد يدخل هذا الكتاب ضمن كتاب الاستيعاب السابق ذكره ، فيما يقول الراوون ، ولم يتيسر حتى الآن الظفر بشئ من ذلك .

ومن المصنفات المعزوة إليه وهى من جو ثقافته ، « التفسير لغريب القرآن » ويقول السيوطى فى القرن العاشر ، إنه رأى هذا التفسير ..

ومن آثاره المعروفة رسالة إلى الليث بن سعد فى مصر وهى صغيرة ، .. ويذكر من هذه المصنفات ما قد يوصف بالكبر والضخامة ، وما قد يسكت عن وصفه ، ولم يصلنا شئ من هذا ولا ذاك مثل :

رسالة له فى « الفتوى » ورسالة فى « الأقضية » ، وكتاب « السير » .. ومما يذكر عند الحديث عن مالك والفقه المالكى كتاب « المدونة » وهو من مدونات رجال المذهب ، فى القرن الثانى وبعده مما يعزى إلى مالك فيه قول أو نقل ، ولا ينسب لمالك بأكثر من هذا ، فلا هو مما ألقاه أو أملاه .

والصفحات من ٧٤٣ إلى ٧٦٥ من الجزء الثالث من ترجمتى المحررة لمالك بن أنس تحوى بحثاً عما ذكر من هذه المصنفات فى الفقه وما حوله ، وفى الصفحات ٦٨٨ — ٧٩٤ حديث عن مالك المتكلم ، وما يعزى له من رسالة « القدر والرد على القدرية » التى لم يصلنا منها شىء كذلك .

نبذ من الموطأ فى معان حيوية

١ — عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبى صالح السمان . عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الخيل لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ، فأما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله ، فأطال لها فى مرج أو روضة ، فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها ذلك ، فاستنت شرفاً أو شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ، ولم يرد أن يسقى به كان له ذلك حسنات ، فهى له أجر .

ورجل يربطها تغنياً — أى استغناء عن الناس — وتعففاً ، ولم ينس حق الله فى رقابها ولا فى ظهورها فهى لذلك ستر .

ورجل ربطها ، فخراً ، ورياء ، ونواء — أى مناوأة ومعاداة — لأهل الإسلام ، فهى على ذلك وزر

٢ — عن مالك ، عن زيد بن أسلم أنه قال : —

« شرب عمر بن الخطاب لبناً فأعجبه ، فسأل الذى سقاه : من أين هذا اللبن ؟ فأخبره أنه ورد على ماء ، قد سماه ، فإذا نعَم من نعَم الصدقة ، وهم يسقون ، فحلبوا لى من ألبانها ، فجعلته فى سقائى . فهو هذا ، فأدخل عمر بن الخطاب يده ، فاستقاءه » .

٣ — عن مالك أنه بلغه عن عبدالله بن عمر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »

٤ — عن مالك ، عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله ، أن عائشة بنت طلحة أخبرته ، أنها كانت عند عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . فدخل عليها زوجها هنالك ، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، وهو صائم ، فقالت له عائشة : مامنعك أن تدنو من أهلك ، فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم .

٥ — عن مالك عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا اعتكف يدنى إلى رأسه فأرجلّه ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان » .

٦ — عن مالك عن يحيى بن سعيد : أن أبا قتادة الأنصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لى جمّة أفأرجلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، وأكرمها فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأكرمها

٧ — عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت للركن الأسود : « إنما أنت حجر ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك ثم قبله » .

٨ — عن مالك ، عن حميد الطويل ، عن أنس ابن مالك أنه قال :

سافرنا مع رسول الله صلى الله صلى عليه وسلم فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم .

٩ — قال يحيى : سمعت مالكاً يقول فى صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان ، إنه لم ير أحداً من أهل العلم والفقه يصومها ، ولم يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ، ويخافون بدعته ، وأن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء ، لو رأوا فى ذلك رخصة عند أهل العلم ، ورأوهم يعملون ذلك ..

١٠ — عن مالك ، عن أبى الزبير المكى ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس أنه قال :

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً ، فى غير خوف ولا سفر ؛ قال مالك : أرى ذلك كان فى مطر .

١١ — عن مالك ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن ابن أبى مليكة : أن عمر بن الخطاب مر بامرأة مجذومة ، وهى تطوف بالبيت ، فقال لها : يا أمة الله ، لا تؤذى الناس ، لو جلست فى بيتك ، فجلست ؛ فمر بها رجل بعد ذلك ، فقال لها : إن الذى كان قد نهاك قد مات فاخرجى ، فقالت : ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً .

١٢ — عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يدعو فيقول : اللهم فالق الإصباح ، وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين ، وأغننى من الفقر ومتعنى بسمعى وبصرى وقوتى فى سبيلك » .